ان خلق السموات والارض اكبر من خلق الناس فان اكثر الناس لا يعلم ذلك مع الاشتراك في الدلالة والعلامة على وجود المرجح وقد قال انتم اشد خلقا ام السماء بنيها وذكر ما يختص بالسماء ثم ذكر الارض ودحيها وما يختص بها كل ذلك في معرض التفضيل على الانسان فوجدنا الدرجة التي فضل بها السماء والارض على الانسان هي بعينها التي فضل بها الرجل على المراة وهو ان الانسان منفعل عن السماء والارض ومولد بينهما منهما والمنفعل لا يقوى قوة الفاعل لما هو منفعل عنه كذلك وجدنا حواء منفعلة عن آدم مستخرجة متكونة من الضلع القصيرى فقصرت بذلك ان تلحق بدرجة من انفعلت عنه فلا تعلم من رتبة الرجل الاحد ما خلقت منه وهو الضلع فقصر ادراكها عن حقيقة كذلك الانسان لا يعلم من العالم الا قدر ما اخذ في وجوده من العالم لا غير فلا يلحق الانسان ابدا بدرجة العالم بجملته وان كان مختصرا منه كذلك لا تلحق المراة درجة الرجل ابدا مع كونها نقاوة من هذا المختصر واشبهت المراة الطبيعة من كونها محلا للانفعال فيها وليس الرجل كذلك فان الرجل يلقي الماء في الرحم لا غير والرحم محل للتكوين والخلق فتظهر اعيان ذلك النوع في الانثى لقبولها التكوين والانتقالات في اطوار الخلق خلقا من بعد خلق الى ان يخرج بشرا سويا فبهذا القدر يمتاز الرجال عن النساء و لهذا كان النساء ناقصات العقل عن الرجال لانهن ما يعقلن الا قدر ما اخذت المراة من خلق الرجل في اصل النشاة واما نقصان الدين فيها فان الجزاء على قدر العمل والعمل لا يكون الا عن علم والعلم على قبول العالم وقبول العالم على قدر استعداده في اصل نشاته واستعدادها ينقص عن استعداد الرجل لانها جزء منه فلا بد ان تتصف المراة بنقصان الدين عن الرجل وهذا الباب يطلب الصفة التي يجتمع فيها النساء والرجال وهي فيما ذكرناه كونهما في مقام الانفعال هذا من جهة الحقايق واما من جهة ما يعرض لهما فمثل قوله ان المسلمين والمسلمات والمومنين والمومنات الى قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات وقوله تعالى التايبون العابدون السايحون وقوله تايبات عابدات سايحات وقال عليه السلم كمل من الرجال كثير ومن النساء مريم بنت عمران واسية امراة فرعون فاجتمع الرجال والنساء في درجة الكمال وفضل الرجل بالاكملية لا بالكمالية فان كملا في النبوة فقد فضل الرجل بالرسالة والبعثة ولم يكن للمراة درجة البعثة والرسالة مع ان المقام الواحد المشترك يقع التفاضل في اصحابه بينهم فيه كما قال تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وقد شرك الله بين الرجال

والنساء

والنساء في التكليف فكلف النساء كما كلف الرجال وان اختصت المراة بحكم لا يكون للرجل فقد يختص الرجل بحكم لا يكون للمراة كما تختص المراة بحكم لا يكون للرجل وان كان النساء شقايق الرجل ثم اعلم ان منزلة المراة من الرجل في اصل الايجاد منزلة الرحم من الرحمن فانها شجنة منه فخرجت على صورته وقد ورد في بعض الروايات ان الله خلق آدم على صورة الرحمن وثبت ان الرحم فينا شجنة من الرحمن فتنزلنا من الرحمن منزلة حواء من آدم وهي محل التناسل وظهور اعيان الابناء كذلك نحن محل ظهور الافعال فالفعل وان كان لله فما يظهر الا على ايدينا ولا يلتبس بالحس الا الينا ولو لم نكن شجنة من الرحمن ما صح النسب الالهي وهو كوننا عبيدا له ومولى القوم منهم فافتقارنا اليه افتقار الجزء الى الكل ولولا هذا القدر من النسبة لما كان للعزة الالهية والغنى المطلق ان تعطف علينا ولا ان تنظر الينا فبهذا النسب صرنا مجلاها فلا تشهد ذاتها الا فينا لما خلقنا عليه من الصورة الالهية فملكنا الاسماء الالهية كلها فما من اسم الهي الا ولنا فيه نصيب ولا يقوم بنا امر الا ويسري حكمه في الاصل قال عليه السلم في هذا الاسم في اعضاء الانسان انه اذا احس عضو منه بالم تداعى له ساير الحكم بالحمى فاثر وجود ذلك الالم في العضو الخاص الحمى في ساير الاعضاء فيتالم كله لتالم جزء من جسمه فما ظنك بالنفس الناطقة التي هي سلطانة هذا البلد الامين فان حاملة الحمى النفس الحيوانية في هذا الموضع وهي للنفس الناطقة بمنزلة ملك اختل عليه بعض ملكه فهمه يكون اشد الا ترى الحق سبحانه قد وصف نفسه بالغضب وبالرحمة و بالقبول وبالاجابة وامثال هذا وجعل ذلك كله مسببا عن اسباب تكون منا فاذا اعصيناه مجاهرة اغضبناه واذا قلنا قولا يرتضيه منا ارضيناه كما قال عليه السلم ولا تقول الا ما يرضي ربنا واذا تبنا اثرنا القبول عنده ولولا سيئاتنا ما عاقب ولا عفى وهذا كله مما يصحح النسب ويثبت النسب ويقوي آثار السبب فنحن اولاد علات ام واحدة وآباء مختلفون فهو السبب الاول بالدليل لا بالمشاهدة و لما تقرر ما ذكرناه ايد هذا النسب بقوله فمن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله فانظر ما اعجب هذا الحكم ان قطعها سبحانه من الرحمن وجعل السعادة لنا والوصلة به في وصل ما قطعه الصورة منازعة وفيها القرب الالهي ليكون لنا حكم الوصل وهو رد الغريب الى اهله وليس الحكمة الالهية في هذا الا نفي التشبيه فانه قال ليس كمثله شيء فاذا قطعناها اشبهناه في القطع فانه جعلها شجنة من الرحمن فمن قطعها فقد تشبه به وهو لا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء بحكم الاصل فتوعد من

Copyright © King Saud University